

التبيان في تفسير القرآن

(313) هذه الآية عند رجوع النبي (صلى الله عليه وآله) من الحديبية، بشر في ذلك الوقت بفتح مكة، وتقديره (إنا فتحنا لك) مكة. وقال البلخي عن الشعبي في وقت الحديبية بويع النبي (صلى الله عليه وآله) بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدى محله. والحديبية بئر، فروي أنها غارت فمج النبي (صلى الله عليه وآله) فيها فظهر ماؤها حتى امتلأت به. وقال قتادة: معنى (فتحنا) قضينا لك بالنصر. وقيل: معناه أعلمناك علما ظاهرا في ما أنزلناه عليك من القرآن وأخبرناك به من الدين، وسمي العلم فتحا، كما قال (وعنده مفاتيح الغيب) (1) أي علم الغيب. وقال (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) (2) وقال الزجاج: معناه أرشدناك إلى الاسلام، وفتحنا لك الدين بدلالة قوله (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) (3) وقال مجاهد (فتحنا لك فتحا مبينا) يعني نحره بالحديبية وحلقه. وقال قتادة: معناه قضينا لك قضاء بينا. وفي الحديبية مضمض رسول الله (صلى الله عليه وآله) في البئر وقد غارت فجاشت بالرواء. والفتح هو القضاء من قولهم: اللهم أفتح لي. وقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) (4) والفتح الفرج المزيل اللهم. ومنه فتح المسألة إذا انفرجت عن بيان ما يؤدي إلى المطلوب، ومنه فتح عليه القراءة، لانه متعلق بالسهو، وينفتح بالذكر والفتح المبين هو الظاهر، وكذلك جرى فتح مكة. وقوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل جعل غفرانه جزاء عن ثوابه على جهاده في فتح مكة. وقيل في معناه اقوال: _____ (1) سورة 6 الانعام آية 59 (2) سورة 8 الانفال آية 19 (3) سورة 33 الاحزاب آية 73 (4) سورة 7 الاعراف آية 88 (ج 9 م 40 من التبيان) (*)